في جميع فروع التعليم . ويستنتجون من ذلك بان جبل السواد الاعظم من الامة لا يتأتى ان يكون البتة ضمانًا لراحة مملكة وبقائها وان الظاهر من مصلحة الحكومة الملوكية انها تطلب تفاني الحكومة في نشر التعليم وان المستقبل مضمون للأمم التي تحسن اكثر من غيرها حل مشكلة التعليم الوطني .

صحف منسية

وصف عاصمة الاندلس

قال لسان الدين بن الخطيب في « كتاب الاحاطة في اخبار غرناطة » عند ما ألمّ باسم هذه المدينة ووضعها ووصفها الجغرافي ما نصه : وبردها لذلك من المنقب الشتوي شديد وتجمد بسببه الادهان والمائعات ويتراكم بساحاتها الثلج في بعض السنين فجسوم اهلها بصحة الهواء صلبة وسحانهم خشنة وحضومهم قوية ونفوسهم بمكان الحرية الغريزي جريئة وهي دار منعة وكرسي ملك ومقام حصانة . وكان ابن غانية يقول للمرابطين في مرمونة وقد عوّل عليها للامتساك بدعوتهم « الاندلس درقة وغرناطة قبضتها فاذا تجشمتم يامعشر المرابطين القبضة لم تخرج الدرقة من ايديكم » ومن ابدع ما قيل في الاعتذار عن شدة بردها مما هو غريب في معناه قول القاضي ابي بكر بن شبرين .

رعى الله من غرناطة متبوا ... يسر كئيبًا او يجير طريدا
تبرم منها صاحبي عند مارأى ... مسارحها بالبرد عدن جليدا
هي الثغر صان الله من اهلت به ... وماخير ثغر لا يكون برودا

وقال الرازي عند ذكر كورة البيرة: ان ارضها سقي غزيرة الانهار كثيرة الثمار ملتفة الاشجار واكثرها ادواح الجوز ويحسن فيها قصب السكر ولها معادن جوهرية من ذهب وفضة ورصاص وحديد وكورة البيرة اشرف الكور نزلها جند دمشق ... وخصها لا يشبه بشيء من بقاع الارض طيبًا ولا شرفًا الا بالغوطة غوطة دمشق . وقال بعض المؤرخين بعد ان عدد نباتاتها ومعادنها : وكفى بالحرير الذي فضلت به فخرًا وقنية وغلة شريفة وفائدة عظيمة تمتاز منها البلاد وتجلبه الرفاق فضيلة لا يشاركه فيها الا البلاد العراقية وخصها الافيح الشبه بالغوطة الدمشقية حديث الركاب وسمر الليالي قد دحاه الله في بسيط سهل تخترقه

المذانب (مسيل الماء الى الارض) وتخللها الانهار والجداول وتتزاحم فيه الغرف والجنات في ذرع اربعين ميلاً او نحوها تنبو العين فيها عن وجهه ...

وبعد ان فصل المؤلف كتابه الى فصول كثيرة وانى على ذكر ما آل اليه حال من ساكن المسلمين بغرناطة من النصارى وما ينسب لهذه المكورة من الاقاليم التي نزلتها العرب وما اشتمل عليه خارج المدينة من القرى والجنات والجبت قال في احصاء بيوتها : وتذهب هذه الغروس المغروسة قبلة ثم بفيض تيارها الى غرب المدينة وقد كثرت بها الجبال الشاهقة والسفوح العريضة والبطون الممتدة والاغوار الخائفة مكللة بالاعناب غاصة بالادواح متزاحمة بالبيوت والابراج بلغ الى هذا العهد عدها في ديوان الحرص الى ما يناهز اربعة عشر الفاً نقلت ذلك من خط من يشار اليه في هذه الوضيعة . وقال في فصل آخر : ويحيط بما خلف السور من المباني والجنات في سهل المدينة العقار الثمن العظيم الفائدة المتعاقب الغلة الذي لا يعزفه الحمام ولا يفارق الزرع من الارض البيضاء ينتهي ثمن المرجع منها العلي الى خمسة وعشرين ديناراً من الذهب العين لهذا العهد فيه مستخلص السلطان ما يضيق عنه نطاق القيمة ذرعاً وغبطة وانتظاماً يرجع الى دور ناجمة وبروج سامية و يبادر فسيحة ومصاب للحمائم والدواجن ماثلة منها في طوق البلد وحمى سورها جملة ... الى ان يقول بعد ذكر القرى والدساكر : ان اكثر هذه القرى امصار فيها ما يناهز خمسين خطبة تنصب فيها لله المنابر وترفع الايدي وتتوجه الوجوه . وجملة المراجع العلية المرتفعة فيها في الازمنة في العام بتقريب ومعظمها السقيا الغبيط (اغبط النبات غطى الارض وكثف وتدانى كأنه من حبة واحدة) السمين الغالي ما ينيف على اثنين وستين الفاً وينضاف الى ذلك مراجع الاملاك السلطانية ومواضع احباس المساجد وسبل الخير ما ينيف على ما ذكر فيكون المجموع باحتياط خمسمائة الف وستين الفاً والمستفاد فيها من الطعام المختلف المجنوب للجانب السلطاني ثلاثمائة الف قدح و يزيد ويشتمل سوادها وما وراءه من الارجاء الطاحنة بالماء ما ينيف على مائة وثلاثين رحى الحقها الله جناح الامنة ولا قطع عنها مادة الرحمة بفضله وكرمه .

وقال في وصف اخلاق اهل ذلك القطر وعاداتهم وملابسهم : فابصرهم في المساجد ايام الجمع كأنهم الازهار المفتحة في البطاح الكريمة تحت الاهوية المعتدلة . وذكر اصولهم ونسابهم وجندهم واسلحتهم ثم قال : واعيادهم حسنة مائلة الى الاقتصاد والغنى بديانتهم فاش حتى في الدكاكين التي تجمع صنائعها كثيراً من الاحداث كالخفافين ومثلهم واشار الى طعامهم وفواكههم وصرفهم (سكتبهم) فقال ما نصه : وعادة اهل هذه المدينة الانتقال الى حلل العصير اوان ادراكه بما تشتمل عليه دورهم والبروز الى الخوص باولادهم وعيالهم معولين

في ذلك على شهامتهم وا- لتهم على اكتناد دوابهم واتصال امصارهم بحدود ارضه . وحليهم في القلائد والدمالج والشنوف والخلاخل الذهب الخالص الى هذا العهد في اولي الجدة والنجبن في كثير من آنة الرجلين فيمن عداهم والاحجار النفيسة من الياقوت والزبرجد والزمرذ ونفيس الجوهر كثير ممن ترتفع طبقاتهم المستندة الى ظل دولة او اصالة معروفة موفرة

وحريمهم حريم جميل موصوف بالحسن وتنعم الجسوم واسترسال الشعور ونقاء الثغور وطيب النشر وخفة الحركات ونبل الكلام وحسن المجاورة الا ان الطول يندر فيهن وقد يبلغن من التفنن في الزينة لهذا العهد والمظاهرة بين المصبغات والتنافس بالذهبيات والديباجيات والتماجن في اشكال الحلي الى غاية نسأل الله أن يغض عنهن فيها عين الدهر ويكف كف الغدر ولا يجعلها من قبيل الابتلاء والفتنة وان يعامل جميع من بها بستره ولا يسلبهم خفي لطفه بعزته وقدرته

وصف لسان الدين امة ملك قشتالة (Castille) فقال : وحال هذه الامة غريبة في الحماية الممزوجة بالوفاء والرقة والاستهانة بالنفوس في سبيل الحمية عادة العرب الاول واخبارهم في القتال غريبة من الاسترجال والزحف على الاقدام امرهم وماثورهم والجثو في الارض او الدفن في التراب والاستظهار في حال المحاربة ببعض الالحان المهيجة ورماتهم قسيهم عربية جافية وكلهم في دروع ولا لجام عندهم والتقهقر مقدار الشبر ذنب عظيم وعار شنيع ورماتهم يسبقون الخيل في الطراد وحالهم في باب التحلي بالجواهر وكثرة آلات الفضة غريب

مطبوعات ومخطوطات

الاحاطة في اخبار غرناطة

قلّ في كتب الادب والتاريخ ما ينتفع به مطالعه في امور كثيرة لقلة الجيد منها وذلك لان المصنفات كالبضائع فيها الجيد وفيها الرديء والمصنفين اصناف فقسم يؤلف وقد تمت ادواته وتشبع بما يود الخوض فيه فلا يكتب الا الثمين النافع وقسم بين ذلك وقسم يخلط ويخبط لا هوى له الا في ذكر اسمه وحشر نفسه في عداد المصنفين . وصاحب كتاب الاحاطة في اخبار غرناطة هو من اهل الصنف الاول ما كتب كتاباً الا عن فكر وروية وناهيك بما يصدر من نفثات ابن الخطيب حسنة الاندلس ونابغة عصره بل كثير من العصور قبله وبعده .